بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة

هذه الدراسة تقوم على تحليل النص الادبى فى ضوء القرائن الحضارية • فهى ترنو الى أن تضع الظاهرة الادبية فى سياقها التاريخى• لذا ، فهى تتخذ من (**التناول التاريخى**) ركيزة فلسفية فى دراستها لمصادر الكتاب ، وللواقع التاريخى الذى صور به « المويلحى » ورؤيته الجمالية له فى شكل لوحات روائية داخل اطار « المقامة » وان طور فى وظيفتها على نحو ما سنرى •

ومعلوم ــ فلسفيا ــ أن (**التناول التاريخى**) هو « مبدأ ادراك الأشياء والظواهر فى عملية ظهورها وتطورها فى علاقتها بالظروف التاريخية المعينة التى تحددها • ويتضمن التناول التاريخى معالجة للظواهر كنتائج تطور تاريخى محدد ، وهى معالجة تبحث فى كيف نشأت هذه الظواهر وكيف تطورت وكيف بلغت حالتها الراهنة • والتناول التاريخى ــ كمنهج محدد فى البحث النظرى ــ ليس تحديدا لأى تغيير ولكل تغيير (حتى الكيفى منه) ، وانما هو تحديد فحسب لتلك التغيرات التى تعكس تكوين الصفات النوعية للأشياء والروابط بينها ، محددا جوهرها وصفاتها النوعية والكيفية ••• وقد أصبح التناول التاريخى مبدأ أساسيا للعلم »[1] •

ولا يستطيع الباحث أن يجرد « المويلحى » من الحس التاريخى • بل لقد صدر عن رؤية تتسم بالتواصل التاريخى • والمتأمل فى فكرة

---

(1) Rosenthal, M, and Yudin, P. A dictionary of philosophy publishing, progress puhaishers, Moscow; 1967.

مادة historism p. 193.

وقد ارتضيت الترجمة العربية . انظر : الموسوعة الفلسفية ترجمة سمير كرم (بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ١٩٧٤) ص ١٣١ .

التاريخ عند « المويلحى » يلمس ذلك بوضوح ، وهى رؤية ساعدته على أن يهتدى ــ فى ضوء أركان العملية التاريخية (الانسان ، الزمان ، المكان) ــ فى نقد الواقع الاجتماعى الى قوانين التاريخ وحركته • يقول « المويلحى » : « هذا والطبيعة البشرية واحدة فى كل زمان فلاتكاد تختلف الحوادث عنها فى الماضى عن الحاضر الا باختلاف الظروف وهذا معنى قولهم « ليس تحت الشمس أمر جديد » والافراد والامم فى ذلك على سبيل واحد فاذا طرأ على الانسان حادث وكان ذا اطلاع على التاريخ عرضها على سجل حوادثه وخزانة تجاربه فلابد أن يعرض له فيه ما يماثلها أو ما هو قريب منها أو ما هو متفق معها فى النوع وان كان مختلفا فى الشكل فيتفرغ حينئذ لحكم القياس فلا يلبث أن يخرج منه ما تستقيم معه القضية وتلوح له النتيجة التى يستطلعها فى المستقبل بضوء النتيجة التى سبقت فى الماضى •

ولذلك كان من الواجب على كل من يشتغل بالتاريخ والنظر فى الحوادث والاخبار الغابرة أن يجرى فى عمله على طريقة أهل العلوم المبنية على التجربة والقياس وأن يتبع قواعدهم فيها فان فن التاريخ داخل فى عداد تلك العــلوم»[1] • ويمضى فى تحليله لوظيفة المؤرخ وما ينبغى أن يتوافر لديه من « دقة التمييز والتفريق بين الوقائع الخاصة والوقائع العامة وتبيين الحدود الفاصلة التى يتوصلون اليها فى استنتاج القواعد والقوانين العامة يعنى موضوع علم التاريخ وفلسفته فانه متى وقف المطلع على مقدار ما فى أيدى المؤرخين من المحصول وعلى كيفية تصرفهم فيه ••• واستنباط الأحكام العامة التى يستخرجونها بالبحث والفكر أمكن له أن يدرك الى أى نقطة تقرب الحكاية من الواقع والتاريخ من الحقيقة والى أى حد يجب الاعتماد عليه ومعرفة الشك من اليقين وما يدخل فى باب الاحتمال وما ينصرف الى جانب البطــلان وبالجملة فانه يتيسر له أن يدرك قيمة التاريخ

---

(١) كلمة فى التاريخ ، مصباح الشرق ، ١٢ يوليو ١٩٠٢ ، ص ١ عمـــود ٢ •

العلمية وحقيقة منزلته »[١] و « من خواص المؤرخ أيضا أن يضيف الى عمله العلمى شيئا من أعمال علماء الاخـلاق وعلماء النفس ورجال السياسة والتدبير فلا يكتفى بالصدق فى رواية الوقائع والتثبت من سرد الحوادث بل يخرج الى البحث فيها والحكم عليها بمقتضى ما يكون لديه من قواعد العلوم الأدبية الأخرى فيتبين وجوه الفوائد ويوضحها لانتفاع الأجيال القادمة من درس الأمم الغابرة »[٢] .

والنصوص السابقة تكشف عن الحاسة التاريخية عند « المويلحى » وبفضلها تقدم نحو بنيان المجتمع ليصور رؤيته النقدية له . وطبيعى — وفقا لهذه الرؤية التى تعتمد **« التناول التاريخى »** ركيزة فلسفية لرؤاها ورؤيتها أن نحلل مفردات الصور الروائية أو اللوحات الروائية فى « حديث عيسى بن هشام » الى منابعها الفكرية عند رواد عصر التنوير والاحياء : « حسن العطار (١٧٧٦ — ١٨٣٥) . ورفاعة الطهطاوى (١٨٠١ — ١٨٧٣) . وجمال الدين الافغانى (١٨٣٩ — ١٩٠٨) . ومحمد عبده (١٨٤٩ — ١٩٠٥) . ومدى اثراء « المويلحى » لتلك الأفكار فنيا فى العمل الأدبى على نحو ما اجتهد البحث فى تحليله .

* * *

ومن جانب آخر فقد طمحت هذه الدراسة أن تبحث فى الدوافع الدفينة وراء النص الادبى « حديث عيسى بن هشام » فى ضوء كتابات « المويلحى » الاجتماعية والنقدية . خاصة وأن « المويلحى » توفرت لديه الروح الروائية ولمسات الروائى فضلا عما تمتع به من حس اجتماعى ناضج . وبهذين الجناحين حلق فى فضاء عالم الرواية من حيث قيامها على تحليل المجتمع ونقده وتصوير أزمة الانسان المعاصر .

---

(١) كلمة فى التاريخ ، مصباح الشرق ، ٩ أغسطس ١٩٠٢ ص ١ عمـــــود ١ .

(٢) كلمة فى التاريخ ، مصباح الشرق ، ١٢ يوليو ١٩٠٢ ص ١ عمـــــود ٥ .

لذا ، حاولت أن أتعقب مصادر فكره الاجتماعى فى الشكل الأدبى (المقال) وما يطرأ على الفكرة ذاتها من تحوير عندما يصورها فى (المقامة) بشكلها المتطور نحو عتبات الرواية أو القصة • فالفكرة فى الشكل الأدبى (المقال) تخاطب العقل • ومن ثم ، فالمويلحى يتعامل مع اللغة بقدر ، فهى وان تميزت بالتدفق والسيولة والتحرر من المحسنات البديعية (اللفظية والمعنوية) الا أنها تخضع لشكيمة العقل • بينما تتبابن الفكرة ذاتها عندما يعتمد « المويلحى » الاسلوب التصويرى• هنا ، ترتكز اللغة على نبض الأديب الفنان وهو يتحسس واقعه • ومن ثم ، فهى تخاطب الوجدان وترنو أن تحرك المشاعر الدفينة فى القارىء وتنبهه لما حوله من « **المثيرات الاجتماعية** » لذا فالطابع الذى يسم اللغة يتميز بوضوح النبرة الموسيقية • فهو ــ « المويلحى » ــ يجتهد أن يجدد داخل اطار المحسنات البديعية ليوجه نقده الاجتماعى •

ويتضح للمتأمل فى تراث « المويلحى » مدى القلق الاجتماعى الذى كان يعانى منه ، ومدى توتر الفنان فى داخله : ومن هنا حرصت هذه الدراسة أن تنفذ الى « جوهر » أو ماهية النقد عند « المويلحى » من خلال « **التجلى** » و « **الخفاء** » أو « **الظاهر** » و « **الباطن** » فى النص الادبى •

فهو فى مقال (الشرق والغرب) يجمل خصال الشرقيين والغربيين ويضع يده على آفة التقليد والتبعية التى قلما يبرأ منها شعب مستعمر (بالفتح) • يقول : « ••• وكان جل اهتمامنا فيما قدمناه أن لا يتوهم الشرقيون أن القوم **من الكمال بحيث يجب اتباعهم وتقليدهم فى كل خلق** من الاخلاق وعادة من العادات وسيرة من السير وأن لا يتصوروا أن النقص فينا بقدر توهم الكمال فيهم فان رسوخ الاعتقاد فينا بأن كل ما يصدر عن الغربى من الأفعال والأقوال هو نتيجة الفضيلة والحكمة وموجب للتسليم له وللبأس والقنوط من النجاح فى أمرنا وداع الى استعظام شأنه وتمكين هيبته فى نفوسنا الى درجة يستخلص بها كل حوائجه منا بسلاح هذا الوهم فينا وقد قيل لعلى بن أبى طالب كرم

الله وجهه بم غلبت الاقران ؟ قال : بتمكين هيبتى فى قلوبهم فما لقيت أحدا الا أعاننى على نفسه »(١) .

ويتجلى وعيه الحضارى وتواصله مع تراثه ، وانفتاحه على الوجه المشرق من الحضارة الغربية فى محاولته أن يمزق الغشاوة التى ضربت على أعين الشرقيين فجعلتهم « خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر » . هنا يقول « المويلحى » : « يظن الشرقيون أن الغرب فردوس من الفراديس أو جنة من الجنان وارفة الظلال دانية القطوف وأن كل مدينة من مدائنها هى تلك المدينة الفاضلة التى تخيلها أفلاطون فى كتابه »(٢) ان الغربيين لم يمتازوا عن أهل المشرق — فيما يرى « المويلحى » — الا بالصناعة وآلاتها الميكانيكية(٣) .

وتتألق روح الانتزان والوعى بمسئولية المثقف فى مجتمعه وعدم الهروب من المسئولية والقاء التبعة على المستعمر فى قوله : « والحقيقة أن لكل بلد محاسن ومعائب وفضائل ورذائل وكمالا ونقصا وانما تخفى معائب الغربيين علينا لعدم البحث والتنقيب والامعان والتدقيق »(٤) وهو يقدم دليلا عمليا على أن كل مجتمع لا يخلو من عيوب ، من واقع مشاهداته فى الغرب . يقول « وحالة الفقر فى لوندره تفتت الأكباد فانهم يموتون جوعا وليس فى لغات الدنيا لغة يعبر فيها عن الموت من الجوع بكلمة واحدة الا فى اللغة الانجليزية فان لفظة « ستارفيشن » Starvation معناها الموت من الجوع وهذا دليل على استفاضة وقوعه بين الانجليز »(٥) وكما نلاحظ فاللغة هنا تدور فى الاطار التعاملى بينما تتوهج وظيفتها الهامشية أو التنفيسية فى اللوحة الروائية التى يرسمها « المويلحى » فى « حديث عيسى بن هشام » يقول على لسان الصديق

---

(١) مصباح الشرق ، ٢١ يوليو ١٨٩٨ ، ص ١ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢٣ نوفمبر ١٨٩٨ ، ص ١ .
(٣) المصدر نفسه ، ٧ يوليو ١٨٩٨ ، ص ١ .
(٤) المصدر نفسه ، ٢٣ يونيو ١٨٩٨ ، ص ١ .
(٥) المصدر نفسه .

« ... السبب الصحيح فى ذلك هو دخول المدنية الغربية بغتة فى البلاد الشرقية ، وتقليد الشرقيين للغربيين فى جميع أحوال معايشهم ، كالعميان لا يستنيرون ببحث ، ولا يأخذون بقياس ، ولا يتبصرون بحسن نظر ، ولا يلتفتون الى ما هنالك من تنافر الطباع ، وتباين الاذواق ، واختلاف الاقاليم والعادات ، ولم ينتقوا منها الصحيح من الزائف ، والحسن من القبيح ، بل أخذوها قضية مسلمة ، وظنوا أن فيها السعادة والهناء ، وتوهموا أن يكون لهم بها القوة والغلبة ، وتركوا لذلك جميع ما كان لديهم من الاصول القديمة والعادات السليمة ، والاداب الظاهرة ، ونبذوا ما كان عليه أسلافهم من الحق ظهريا ، فانهدم الأساس ووهت الأركان ، وانقضّ البنيان ، وتقطعت بهم الاسباب ، فأصبحوا فى الضلال يعمهون ، وفى البهتان يتسكعون (١) واكتفوا بهذا الطلاء الزائل من المدنية الغربية واستسلموا لحكم الأجانب يرونه أمرا مقضيا ، وقضاء مرضيا ، وخربنا بيوتنا بأيدينا وصرنا فى الشرق كأننا من أهل الغرب ، وان بيننا وبينهم فى المعايش لبعد المشرق من المغرب »(٢) . وفى موضع آخر يقول : « ... وقد عهدنا الغربيين عموما ، وهؤلاء الفرنسيين خصوصا ، لا نتصفح لهم كتابا ولا نسمع منهم حديثا الا بتمجيد مدنيتهم ، ومباهاة الناس طرا بنظام معيشتهم ، وأنهم هم أرباب الخلق وسادة البشر ، وأن الهدى هداهم ، والضلال فيمن عداهم ، وأنه أوحى اليهم من سماء مدنيتهم أن يخرجوا الناس من الظلمات الى النور ، فإما الايمان بها واما الحسام ، وقد ذاعت فينا دعوتهم ، وأعانهم منا على نشرها من أعانهم ، فقبلنا مبالغاتهم بالتصديق والتسليم من غير بحث ولا نظر وحرفنا كل ما يأتونه الى وجوه الحكمة والصواب ، وبسطنا لهم صحيفة الاستحسان من النفس ، يرتسم فيها كل ما يتخيلونه لنا ويموهون به علينا .

أو ليس من الصواب الرأى حينئذ أن نسير على أسلوب الذين

---

(١) تسكع الرجل : تمادى فى الباطل .
(٢) حديث عيسى بن هشام ، ص ٢٨٤ .

سبقونا الى زيارة هذه البلاد ، فنرجع على أهل الشرق باللائمة عليهم فى انخفاضهم وارتفاع أهل الغرب فوقهم ، وأن نصف ما القوم فيه من القوة والمنفعة ، ومظاهر العز والعظمة فى النعيم المقيم ، وأننا لانزال راقدين رقادنا الطويل فى كهوف التراخى والخمول ، يقولون فنسمع ، ويأمرون فنصدع ، ويقتسمون أرزاقنا فنشكر ، وينقصون من أرضنا فنحمد ، ويحتلون ديارنا فنقبل • أفلا أقل الأسباب التى ارتقت بهم الى مرتبتهم فى الوجود ، ونطنب فى شرح القواعد والأصول التى أسسوا عليها بنيانهم ، لنحذو حذوهم ، ونعمل على مشاركتهم • أو ليس الأليق بنا أن نحض قومنا ، لينفضوا عنهم غبار الكسل ، ويخلعوا عنهم لباس الخمول ، ويهبوا الى تقليد هؤلاء المجتهدين فى أنواع الكمالات ؟ »[1] • وترصيع الصورة الروائية بالمحسنات البديعية حيث تبدو اللغة حبلى بالرموز والايماءات الاجتماعية لانها تخاطب مشاعر القارىء وتدفعه أن يتحرك لتغيير هذا الواقع •

ويقدم « المويلحى » ملاحظات دقيقة فى عادات الشرقيين والغربيين ابتداء من الاسرة حتى العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، ويعرض لآفات الطبيعة البشرية من الحسد والتملق والنفاق الاجتماعى[2] •

وتلك الخبرة بالسلوك الاجتماعى للفرد فى علاقاته والمجتمع فى تناقضاته آتت أكلها فى اللوحات أو الصور الروائية التى جسد أحداثها « الباشا » و « العمدة » و « عيسى بن هشام » •

وللتعرف على الجذور الاجتماعية الكامنة وراء نقد « المويلحى » للقيم التى تمكنت فى أنساق البناء الاجتماعى لابد من الرجوع الى النصوص الاجتماعية التى كان يحررها مع أبيه بمصباح الشرق • فهو يضع يده على لب فكرة النقد (التغيير) : ليس فى الماديات فقط بل فى المعنويات « لم يكن شىء فى الوجود الا وضعه البارى سبحانه وتعالى

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .
(٢) مصباح الشرق ، ٢٨ يوليو ١٨٩٨ .

تحت حكم التغيير والانتقال ... ولا يختص التغيير والانتقال بالماديات بل يتناول المعنويات أيضا »(١) .

ويتراءى الحس الاجتماعى فى استثماره لتحليل أبيه « ابراهيم المويلحى » للعادات المصرية فهو يعرض للعرس والمأتم والزار فى سلسلة من المقالات تبدأ ببيت من الشعر :

ثلاثة تشقى بهـا الدار العرس والمأتم والزار

ونلاحظ أنه يتحرر من استخدام المعطيات التراثية القائمة على المحسنات البديعية . فهو يقول فى هجومه على الزار : « ... ولو تنبهت المشيخة الازهرية الى الاعلان بتحريم هذا الزار وتفسيق من يعين عليه وتبكيت من يرضى به لكتب لها به عمل صالح ولكن بعض علمائنا الاعلام وجهابذتنا العظـام يرون أن وظيفتهم العلمية توفى بمثل الاعتراض والتنديد على من يدخل المسجد برجله اليسرى مثلا .. ولو امتنع الرجال عن الانفاق على الزار لكان أجدر وأحرى بمن يطيع الشرع والعقل ويخالف الشيطان والمرأة ولكن المصيبة كل المصيبة أن ينتهى أمر المرأة مع الرجل بعد تسخيره الى تبخيره . فقد سمعنا عن كثير ممن يجلهم الناس ويعظمونهم أنهم قد طأطأوا رؤوسهم الى الكودية تبحرهم وتناجى عفريتهم »(٢) .

وقد وجدت ــ تعميما للفائدة العلمية واسهاما فى نشر نماذج من تراث المويلحى ــ أن أقدم مختارات من كتاباته الاجتماعية والنقدية التى أفرزتها عقلية هذا الاديب المفكر . وكما سيتبين من قراءة تلك

---

(١) مصر وحدها (العادات المصرية) : مصباح الشرق ، ١٨ اغسطس ١٨٩٨ ص ١ .

(٢) مصباح الشرق ، ٢٩ سبتمبر ١٨٩٨ ص ١ .

(٣) انظر مصباح الشرق ١٥ سبتمبر ١٨٩٨ ، و ٢٢ سبتمبر ١٨٩٨ حول القضية الاجتماعية المشار اليها فى متن الصفحة .
وقارن اللوحات الروائية فى فصل العرس ، من كتابه « حديث عيسى بن هشام » ، ص ١٦٢ ــ ١٨٥ .

الاوراق المجهولة أنها لا تقف عند مجرد التعرف على البناء الفكرى الاجتماعى للمويلحى وتأثير هذا البناء فى الصورة أو اللوحات الروائية فى « حديث عيسى بن هشام » بل انها تقترب من قضايا الانثروبولوجيا الاجتماعية ، مما يثير شهوة الباحثين فى حقل الدراسات الانسانية قضايا ترتبط بالعلاقة بين الادب والمجتمع •

* * *

بدت قضية التأثر فى جانبين : الاول : التأثر بالمعطى الاجتماعى لابيه « ابراهيم المويلحى » من خلال استثمار تحليله الاجتماعى لجوانب السلوك الاجتماعى للشخصية المصرية فى صوره الروائية ، وقد أشرت الى ذلك فى صلب الدراسة • وألحقت مختارات كاملة من تلك النصوص فى ملاحق البحث •

والثانى : التأثر بالاداب الاوروبية ، وهى قضية بحاجة الى دراسة مستقلة فى ضوء مناهج الادب المقارن ولكنى أكتفى هنا بالاشارة الى ما يثيره البحث من قضايا • وقد أشارت بعض النصوص النقدية التى تعرضت لنقد النص الادبى « حديث عيسى بن هشام » لمظاهر هذا التأثر فى مقالين :

١ ــ المقال الاول نشر فى « كوكب الشرق » لناقد وقــع باسم « صاد شين » وأشار فى مقاله الى شىء من هذا التأثر نلمح ذلك فى قوله : « ولقد ظهر فى فرنسا عام ١٨٤٣ كتاب لمؤلفه « ليون ريبو » عنوانه « جيروم باتورو » يبحث عن مركز اجتماعى اذا نحن نظرنا اليه وجدنا مؤلفه يرسل بطل قصته باحثا فى الهيئة الاجتماعية معترضا أنظمتها منددا لكثير منها متسعا فى بحثه متعددا فى موضوعاته ، ولقد شاع هذا الكتاب شيوعا كبيرا فى النصف الثانى من القرن الماضى **ولاشك أنه وصل الى**

---

(١) محمد بك المويلحى وحديث عيسى بن هشام ، كوكب الشرق ، العدد ١٦٦١ ١٥ يونيو ١٩٣٠ ، ص ١ •

عبد الله نديم والى المويلحى بك وكان اعجاب الفرنسيين به كثيرا حتى أن مؤلفه عاد سيرته الاولى مرة ثانية عام ١٨٤٨ ونشر كتابا آخر بعنوان « جيروم باتورو » يبحث عن « أفضل جمهورية » ومعلوم أن عام ١٨٤٨ شهد انقلاب الملكية فى فرنسا وقيام الجمهورية الثانية • وشاع أيضا هذا الكتاب شيوعا كبيرا » •

٢ ــ والمقال الثانى لمحمد مهدى علام حيث قارن بين ما كتبه « المويلحى » فى « حديث عيسى بن هشام » وما كتبه « وليم مورس » فى كتابه أخبار لا مصدر لها • يقول : « ••• وبعد فان الباشا اذ يخرج الى دنياه الجديدة ويساير عيسى بن هشام فى طرقها وطرائقها يذكرنى بما كتبه وليم مورس فى كتابه أخبار لا مصدر لها عندما يقص علينا قصة فيها شبه بهذه ففيها رجل بعث الى انجلترا بعد نحو مائتى سنة من عصره ويشاهد فيها من التغيرات ما يدهشه ويأخذ بلبه غير أن الفرق بين الكتابين أن وليم مورس نقل صاحبه الى عصر مستقبل لم يأت بعد وصور الحياة فيه على أنها فردوس أرضى •

أما المويلحى فقد نقل صاحبه الباشا الى عصر حاضر عصر المويلحى نفسه وأخذ يعرض أمامه صور الحياة كما هى لا كما يتمناه مؤرخا وناقدا وأحيانا مصلحا » •

وقد لمس « العقاد » فكرة التأثر بالاداب الاوروبية وتطويع « العناصر التراثية » فى مقال عن « حديث عيسى بن هشام » مؤكدا أن « حديث عيسى بن هشام » كتاب حى لانه يمثل لنا الحياة فى جيل من أجيال الامة المصرية ويسجل معالم ذلك الجيل وسماته فى عالم الادب وعالم الاجتماع ، والكتاب مصرى الموضوع مصرى التأليف مصرى الملكة مصرى الروح لا يعد له فى هذه الصفة أثر غيره من آثار العصر الحديث ، فاذا كانت **القراءة الاوربية قد ألهمت صاحبه العنـــاية**

---

(٢) حديث عيسى بن هشام ، السياسة الاسبوعية ، العدد ٣٣٥ ٢٢ يناير ١٩٤٤ ، ص ٦ •

« **بالنقد الاجتماعى** » فالملكة التى اعتمد عليها فى نقده انما هى ملكة مصرية معروفة بين بيئات هذه الامة منذ أقدم العصور »(١) •

ومن جانب آخر فان التراث النقدى حول « **نقد النص الادبى : حديث عيسى بن هشام** » يثير تباين رؤى الاديب فى عصر الاحياء ونظرته للشكل الادبى (المقامة) فالمويلحى يختلف فى نظرته عن اليازجى وهما معا يختلفان عن « أحمد فارس الشدياق » وهذا الاختلاف يرد الى طبيعة ثقافة الاديب وحساسيته للواقع وطبيعة علاقته بهذا الواقع وموقفه من التراث والرسالة الفنية التى يرنو الى تصويرها وموقعه الاجتماعى ومدى تعبيره عن مجتمعه ومطالبه •

والتأثر يتجاوز الشكل الادبى الموروث (المقامة) أو القراءة فى الآداب الاوروبية بل يمتد الى فضاء الصورة الروائية ونسجها الفنى • فمفردات البناء الفنى للمقامة تهدف الى الغاية اللغوية والعناية بها على نحو ما فعل « اليازجى » وان أفادكثيرا من تاريخ الجاهلية والامثلة العربية • لكن « المويلحى » كان يتأثر بالصور الفنية الموروثة فى الشعر والنثر الفنى « وعلى هذا نستبين فى « حديث عيسى بن هشام » أن المويلحى (بك) رحمه الله كان يعلى مقام المتنبى بنوع خاص لانه يكثر من الاستشهاد بأبيات عربية منها للمتبنى ولكن أغلبها للمعرى • وفى الجزء الأخير من الكتاب ترى نثره متأثرا كل التأثر فى بعض فقره برسالة الغفران للمعرى حتى انه لو سمح المقام بتقديم الشواهد لقابلنا بين الفقر وأظهرنا موضـــــع المطابقة »(٢) وهذا يعنى أن تأثر « المويلحى » بالتراث تمثل فى « الصور الفنية » وليس فى المفردات اللغوية المعجمية •

* * *

(١) حديث عيسى بن هشام ، البلاغ الاسبوعى ، ٢٤ فبراير ١٩٢٨ ، ص ١٢ ، ١٣ •

(٢) حديث عيسى بن هشام ، كوكب الشرق ، ١٥ يونيو ١٩٣٠ ، ص ١ •

قديما قال « العماد الاصفهانى » : « انى رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا فى يومه الا قال فى غده : لو غير هذا لكان أحسن • وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » •

وليس أدق من هذا القول تصويرا لما استبد بى من شعور بالنقص ــ ولا أقولها تواضعا ــ يزيد منه ، ملء القلب رغبة متدافعة نحو الاقتراب من الكمال • وهذا البحث ، ثمرة تأمل واحتضان للفكرة ومعايشتها ، وحوار مع أساتذتى وزملائى ، أثرى ــ لا ريب ــ الدراسة• فلهم الشكر على ما أبدوه من ملاحظات ، وعلى وحدى تحمل جوانب القصور • وحسبى أن أنجو من اللوم •

والله الموفق ،،،

جامعة صنعاء ــ اليمن
فبراير ١٩٨١

دكتور أحمد ابراهيم الهوارى